هل تصبح القنبلة العنقودية مفتاح نجاح الهجوم المضاد الأوكرانى؟

لواء د. سمير فرج

المصري اليوم
من حقك تعرف
22 يوليو 2023

تدخل هذه الأيام الحرب الروسية– الأوكرانية عامها الثانى، وقد تبدد الأمل للجميع في أن يعم السلام بين الدولتين، وبالتالى على العالم كله، ولكن للأسف، فإن بوادر الأحداث تدل على أن هذه الحرب مستمرة، وربما حتى آخر هذا العام. ورغم هدوء الأحداث خلال الشتاء الماضى، عدا معركة الاستيلاء على مدينة باخموت، فلقد كانت القوات الروسية تقوم بتجهيز دفاعاتها على الأراضى الأوكرانية التي استولت عليها في إقليم دونباس في مناطق لوجانسك ودونيتسك وزابوريجيا وخيرسون.

وأعتقد، طبقًا للعقيدة القتالية الروسية، أنها نجحت في تنظيم دفاعات قوية بعمق باستخدام موانع الألغام، التي يصعب على أي قوة مهاجمة اختراقها إلا بحجم كبير من القوات. وعلى الجانب الآخر كانت القوات الأوكرانية تجهز للقيام بهجوم مضاد أطلقت عليه هجوم مضاد الربيع بهدف استعادة الأراضى الأوكرانية التي استولت عليها روسيا.

ولقد كان تحليلى منذ البداية أن هذا الهجوم المضاد الأوكرانى لن يُكتب له النجاح لعدة اعتبارات، أهمها أن القوات الأوكرانية ليست لديها سيطرة جوية قوية فوق أرض المعركة، بل السيطرة الجوية للقوات الروسية. والأمر الثانى أن القوات الأوكرانية ليس لديها التفوق العددى والنوعى من الأسلحة والمُعدات لتنفيذ الهجوم المضاد، حيث إن مفاهيم القتال تنص على أن المهاجم يجب أن تكون قوته ثلاثة أضعاف المدافع، وهذا بالطبع لا يمكن أن تحققه القوات الأوكرانية.

كذلك كان هناك نقص كبير في قذائف المدفعية الأوكرانية من عيار 155 مم، وهى أساس المعارك في مثل هذا النوع من القتال والحرب في المدن. ولذلك أعتقد أنه كان من الأفضل أن تنتظر القوات الأوكرانية وصول طائرات «F 16» الأمريكية، التي وعدت الولايات المتحدة الأمريكية بأن تزود بها أوكرانيا، بعد تدريب الطيارين الأوكرانيين عليها لتنفيذ الهجوم.

ولكن للأسف، بدأت القوات الأوكرانية هذا الهجوم دون انتظار هذه الطائرات، ولذلك لم تحقق أي نجاحات. ومن هذا المنطلق قامت الولايات المتحدة الأمريكية باتخاذ قرارها بدعم أوكرانيا بالقنابل العنقودية المحرم استخدامها دوليًّا بهدف دعم قدرات الجيش الأوكرانى في تنفيذه الهجمات المضادة لاستعادة أراضيه التي استولت عليها القوات الروسية.

وتُوصف هذه القنبلة بأنها مستودع، يحتوى على 300 قنبلة صغيرة، مزودة بعنصر الزركون، لإشعال الحرائق. يُطلق هذا المستودع على ارتفاع محدد من الأرض، لتندفع بعدها القنابل الصغيرة لتدمير الدبابات، والمدرعات، والرادارات، وكافة المُعدات العسكرية. ويمتد الأثر الانفجارى للقنبلة العنقودية الواحدة إلى مساحة تساوى ملعب كرة قدم، أما ما يتبقى منها دون انفجار فيتحول إلى ألغام، تهدد حياة المواطنين.

سبق لأمريكا استخدام ذلك النوع من القنابل، خلال حرب تحرير الكويت من الغزو العراقى، وكانت أول دولة تستخدم القنبلة العنقودية هي ألمانيا، أثناء الحرب العالمية الثانية، وأطلقت عليها، حينئذ، «القنبلة الفراشة»، إلا أنها وقّعت، لاحقًا، على اتفاقية حظر استخدامها، وأعلنت عدم تزويد أوكرانيا بهذه القنبلة. ويرى العديد من المحللين أن الولايات المتحدة دعمت أوكرانيا بهذه القنابل، حيث توجد منها الملايين في مخازنها، وكانت فرصة كبيرة للتخلص منها بإرسالها إلى أوكرانيا.

ولقد أعلن أنطونيو جوتيريش، السكرتير العام للأمم المتحدة، رفض استخدام هذا السلاح في الحرب الروسية– الأوكرانية، ورغم إعلان الولايات المتحدة التزام أوكرانيا بعدم استخدام تلك

القنابل ضد المدنيين، فإن معظم منظمات حقوق الإنسان تعترض على استخدام هذه القنبلة في الحرب، ومن بينها منظمة هيومان رايتس ووتش، التي أعلنت مندوبتها رفض المنظمة استخدام هذه القنبلة في هذه الحرب.

وهنا يبرز التساؤل: ماذا سيكون الرد الروسى عند استخدام أوكرانيا هذا النوع من القنابل؟ حيث سيكون الرد أن روسيا أيضًا لديها مثل هذا النوع من القنابل التي سوف تستخدمها هي أيضًا ويمكن أن تتوسع في ضرب الاحتياطيات الأوكرانية القائمة بالهجوم المضاد، بل قد تتوسع روسيا في أكثر من ذلك باستخدام الصواريخ الباليستية من طراز كينجال وإسكندر لضرب عمق الأراضى الأوكرانية، متذرعة أمام العالم كله بأنها تحمى نفسها بعد استخدام أوكرانيا هذه القنابل المحرمة دوليًّا.

ولقد أعلنت «نيويورك تايمز»، هذا الأسبوع، أن خسائر أوكرانيا في هذا الهجوم المضاد قد بلغت 20% من حجم القوات المهاجمة، وكذلك خسرت أوكرانيا أعدادًا كبيرة من المركبات المدرعة البرادلى الأمريكية الجديدة والدبابات الألمانية الليوبارد، وجميعها من الدعم العسكرى الجديد لأوكرانيا، لدرجة أنه لمن المنتظر أن تفتتح روسيا معرضًا لغنائم الحرب في موسكو لعرض الأسلحة الأمريكية والأوروبية التي تم بها دعم أوكرانيا في هذه الحرب وتم تدميرها أو الاستيلاء عليها من قِبَل القوات الروسية.

ومازالت أوكرانيا حتى الآن تصمم على القيام بهجمات مضادة ضد الدفاعات الروسية رغم عدم نجاحها، خاصة أن الولايات المتحدة أعلنت أنها لن توافق حتى الآن على السماح بقيام بعض دول حلف الناتو بتدريب الطيارين الأوكرانيين على استخدام طائرات «F 16» الأمريكية التي ستدعم بها أوكرانيا، وهذا يعنى أن استخدام أوكرانيا هذه الطائرات «F 16» لن يتم قبل نهاية هذا العام، وهذا بالطبع يُضعف إمكانية نجاح الهجمة المضادة لأوكرانيا.

لذلك لا أعتقد أن أوكرانيا سوف تحقق نجاحًا بالهجوم المضاد بوصول هذه القنابل العنقودية رغم أنها ستكون إضافة كبيرة لقوة النيران لهذا الهجوم الأوكرانى، لكنها في النهاية عنصر

مساعد لتنفيذ الهجوم وليست عنصرًا حاسمًا لنجاحه. وهكذا، فإنه لم يعد هناك أمل في أن تتوقف هذه الحرب في المستقبل القريب وتلجأ روسيا وأوكرانيا للدخول في مفاوضات سلام.

وهو الأمر الذي ينتظره العالم كله، أو على الأقل دول أوروبا التي تدعم أوكرانيا في النواحى الاقتصادية والعسكرية، وفى حديثه بمؤتمر حلف الناتو، وجّه رئيس وزراء بريطانيا كلمته إلى الرئيس الأوكرانى قائلًا: «سيادة الرئيس، نحن لسنا في محال أمازون نحقق لك كل مطالبك»، لذلك فإن الجميع، وبينهم الأوروبيون، في انتظار انتهاء هذه الحرب ليعم السلام على العالم كله.

Email: sfarag.media@outlook.com